يتضح، عند مراجعة السجل، ان اهم الانجازات التي حققتها حركة المقاومة الفلسينية، منذ نشأتها، تمثلت باعادة الهوية ووضع الشعب الفلسطيني على الخارطة السياسية العالمية. واذا كانت حركة المقاومة قد وضعت تلك الانجازات كاهداف لها منذ البداية، فإنها حققتها بالاداة العسكرية التي كانت متوفرة لديها. لكن حين حددت م.ت.ف. لنفسها اهدافاً اخرى كان يُفترض انها قابلة للتحقيق ايضاً من حيث المبدأ بسبب تواضعها الظاهري (اقامة الدولة في الضفة الغربية وقطاع غزة بواسطة التفاوض بدلاً من تحرير كامل التراب الفلسطيني بالكفاح المسلح) لم تعد الاداة العسكرية قادرة على خدمة تلك الاهداف، فيما عجزت القيادة عن ايجاد تكتيكات عسكرية جديدة ملائمة. وقد تكررت هذه الحالة بعد حرب ١٩٨٢، حين افتقرت القيادة الفلسطينية الى اداة قادرة على تلبية احتياجاتها في تحركها العربي والدولي سعياً وراء تحريك المبادرات الدبلوماسية.

عانت حركة المقاومة الفلسطينية، إذاً، من خلل جوهري في بناء وصيانة الاداة العسكرية القادرة على تحقيق الاهداف الاستراتيجية، أي بحيث يتناسب شكل الاداة التنظيمي وتسليحها وتدريبها وعقيدتها القتالية تحديداً مع تلك الاهداف. وقد ظهر ذلك بوضوح بعد العام ١٩٨٢، وبعد انشقاق حركة «فتح» في ربيع ١٩٨٣، حين بحثت قيادة م.ت.ف. عن وسيلة عسكرية ترد بها اعتبارها وتؤكد استمرار وجودها ونفوذها، فلم تجد ما تحتاج إليه، بل وقد بات من شبه المستحيل أن تجد ما تحتاج إليه. ولم ينتج ذلك النقص، في النهاية، عن الظروف الخارجية وحركة الانشقاق والضغط السوري، بقدر ما نتج عن الاهمال طويل الأجل للاداة العسكرية والتنظيمية. وجاء أبرز مثال على ذلك ليس في لبنان، بل في الارض المحتلة حيث اتيحت الفرصة للعمل ضد العدو الاسرائيلي بحرية ومأمن من القيود العربية. فلو كانت العناصر التنظيمية موجودة هناك، لوفرت الأساس للقيام بعمل عسكري ناجح وعلى نطاق واسع الى حد كافٍ لخدمة احتياج م.ت.ف. السياسي. فقد عاد الفضل، إذاً، في بعض العمل العسكري الناجح في لبنان والارض المحتلة ليس إلى العمل المضني الذي بنته القيادات الفلسطينية عبر السنوات، بل، مرة اخرى، إلى بعض الضباط والأفراد المندفعين، أو إلى الجماعات المستقلة الناشئة التي لا تدين لقيادة م.ت.ف. أو الاطراف الاخرى بوجودها أصلاً (ولو دانت الى حركة المقاومة بمثال العمل العسكري وعقيدة الكفاح المسلح).

لكن يدل قُصر النظر الذي أبدته مختلف القيادات الفلسطينية، منذ بداية السبعينات، والذي منعها من تهيئة الادوات العسكرية والتنظيمية لخوض المعارك القادمة بعد سنوات، على غياب الاستراتيجية الشاملة بعيدة المدى. فكان مؤسسو «فتح» يعتقدون، حتى حرب العام ١٩٦٧، بأن عملهم العسكري سيؤدي الى اندلاع الحرب الشاملة التي تتدخل فيها الجيوش العربية لاكتساح اسرائيل، ضمن ما عُرف باستراتيجية «التفجير المتسلسل». وحين تم تحطيم الجيوش العربية واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة المكتظين في حزيران (يونيو) ١٩٦٧، سارعت قيادة «فتح» إلى بناء «القواعد الارتكازية» على أمل تكرار تجربة ثورة ١٩٣٦ التي شهدت حالة تمردية كان أساسها العصابات المتحركة في الجبال والاضراب العام في المدن. وظهرت العبارات الخاصة باستراتيجية «حرب العصابات» و«الحرب الشعبية» لتدل على الانتقال المزعوم من الاعتماد على جيوش الدول العربية الى الطاقات الجماهيرية الفلسطينية والعربية. غير أن هزيمة نمط «القواعد الارتكازية» قذف بحركة المقاومة، برمتها،